نافذة

عن الفساد وسرّ الفساد

تحول الفساد إلى عقيدة لدى طائفة كبيرة من المجتمعات في العالم، ومن ثم تحول الفساد إلى مؤسسات مشرعنة، وعلى مستوى أنظمة ودول وقارات، بل على مستوى العالم أجمع، فالفساد ثقافة عالمية، وقد تكون هذه الثقافة متفوقة على موتزرات وشكسبير، بل تفوقت ببراعة على كل الطبقات الاجتماعية التي عرفتها المجتمعات، فألغت ببراعة وحنكة وتدرج الطبقة المتوسطة الحامل الفكري والثقافي والسياسي لأي مجتمع من المجتمعات، فقد رأت ثقافة الفساد أن هذه الطبقة هي الحامي والحامل للمجتمع، وحدها الطبقة المتوسطة القادرة على القراءة والثقافة والموسيقا، وحدها القادرة على خلق تيارات فكرية، وأحزاب سياسية، وحدها لا تملك عقدة تجاه فوق أو تجاه تحت، وحتى يتمكن الفساد كان لابد من إنهاء وقتل هذه الطبقة التي تملك حق الرفض والقبول والاعتراض والخلق الجديد.. وتابعت ثقافة الفساد وعلى مستوى العالم القضاء على الطبقة العليا، فهذه الطبقة الراقية أو البورجوازية أو المالكة، أو ما شئت أن تطلق عليها من تسميات وفق توجهك الأيديولوجي أو العقدي، هذه الطبقة، وكثير منا يتداولون أسماء أسر تملك العالم، هذه الطبقة أدت دوراً مهماً في نشوء البلدان والاقتصادات المهمة، وعرفنا، حتى على المستوى السوري، الأثر الكبير الذي أدته البورجوازية الوطنية النبيلة في دعم الدول والصناعة والتجارة، وهناك عهود حملتها هذه البورجوازية الوطنية النبيلة، وتتسم بالإيجاب، على عكس ما يتم ترويجه ضد البورجوازية بالمفهوم العام والأيديولوجي، جاءت منظومة الفساد ببراعة لتنهي هذه الطبقة، وذلك باستلال النبل منها، وتحويلها إلى أداة شرهة، وبالتدريج تحولت المفهومات في هذه الطبقة، وتغير الأشخاص، وتغير المفهومات والأشخاص في طبقة مهمة ومؤثرة، حولاها من شريحة تحمل الخطط الكبرى والتوجه الوطني، إلى شريحة تحمل كل معاني الاقتناص والسرقة والنهب، ومن استطاع أن يهتك هذه الشريحة لا يعنه ما يقال فيه! وعلى مستوى عالمي صرنا نسمع بشخصيات وأسر ومؤسسات يطلق عليها جميعها تعبير الأغنياء الجدد، وقد مر على أغلبها أكثر من نصف قرن، ولا تزال تحمل صفة الجدد، والطريف أن هذه الطبقة المتشكلة لا تنتمي إلى البورجوازية، ولا تنتمي إلى الطبقة المتوسطة، فمن الطبيعي أن يرتقي أحدهم من طبقة إلى أخرى بفعل العمل الدؤوب، لكن هذا الانتقال الغريب، أو الهبوط من عالم غير مرئي أدى وظيفتين في الوقت نفسه، أولاهما تفريغ البورجوازية من مفهومها ودورها، وثانيتهما زيادة الضغط على ما تبقى من طبقة وسطى، وزيادة حدّة قهر الطبقة الفقيرة، وتحويلها من طبقة عاملة قانعة إلى طبقة ناقمة.

وعلى مستوى الطبقة الدنيا، أو الطبقة الفقيرة العاملة، التي تحمل على عاتقها كل ما في المجتمع، وهي موضع تقدير واحترام وأغلبنا ينتمي إليها، فقد سلطت منظومة الفساد والغنى عليها ما أطلق عليه الإقطاع والبورجوازية، وتم التعامل مع هذه الطبقة وفق منظومة الفساد، وليس وفق منظومة العمل، أرأينا منذ متى تعمل منظومة الفساد؟! ونتيجة التخطيط الاجتماعي والاقتصادي الممنهج تحولت هذه الطبقة الفقيرة التي تحمل منظومة الأخلاق المجتمعية والقيم إلى اتجاهات، أول هذه الاتجاهات تخلى عن كل المنظومة القيمية، واستباح كل شيء، وتنازل عن كل شيء، وتحول من شخص يعطي النظافة إلى شخص يحمل أقذار العالم بروحه، وفي مجتمعاتنا العربية، وسورية تحديداً، نسمع عبارة: وجد كنزاً، باع شيئاً... وهكذا من تعابير لإيجاد مسوغات للفساد، ومسوغات لتصدّر المجالس، والطريف أن هؤلاء الذين لا يملكون أي مقوم، سوى التنازل عن القيم والأخلاق، تفتح لهم المجالس، ويتصدرون، ويستمع إليهم، ويحصلون على ما يريدون وزيادة، والشواهد أمامنا أكثر من أن تحصى.. واتجاه آخر زاد فقره وألمه، ولم تفده قفزاته المتخيلة، فعاد أكثر ضعفاً، وأكثر سوءاً، وكل ما كسبه من محاولاته أنه خسر حصانته القيمية والمجتمعية والأخلاقية، وحتى الآن لم يرد أي حكم أخلاقي ديني، فالأمر الذي أتحدث عنه قيم اجتماعية لا علاقة لها بدين أو بمجتمع محدد.. وثالث اتجاهات الطبقة الفقيرة هو الذي تحول إلى ناقم غاضب، لا شيء يتمسك به، لا شيء يخسره، فمتى تسعد الطبقة الفانية؟ تحول هذا الاتجاه إلى اتجاه ضائع في إدمان ورقيق وما يتبع ذلك. خسر كل شيء، ولا شيء يدعوه إلى التمسك بالمنظومة المجتمعية، ومن هذا الجانب نشأت الطبقات المهمشة والفقيرة والغاضبة، التي لا يعنيها شيء، ولا تتمسك بشيء، ولا تحرص على مجتمع لم يلتفت إليها!

فإذا ما سأل أحدهم عن أسباب ما جرى في العالم أجمع، وفي المنطقة العربية على وجه التحديد، فإنه لابد أن يضيف إلى المؤامرات الخارجية للسيطرة على مقدرات البلدان هذا الواقع الاجتماعي المعقد، الذي تم العمل عليه لعقود طويلة، ليصبح المجتمع، أي مجتمع مستهدف، في وضع مأزوم لا يجتمع أبناء طبقاته على افتدائه والدفاع عنه وعن مكتسباتهم، لأنهم لا يملكون أي مكتسبات سوى القهر والتهميش؟ والغريب أن العواصف تعصف بالبلدان، والذين أثروا من الحرب والفساد وتجار الأزمات ازداد تغولهم على حساب الوطن وهذه الطبقات، وهم لا يعنيهم أي نوع من ردات الفعل، لأن ما جمعوه وتاجروا به أهم عندهم من المجتمع بتمامه! ولم يقم كثيرون في مواقع المسؤولية على أي عمل يمكن أن يستوعب هؤلاء وغضبهم، وربما اكتفى عدد منهم بتوصيف وتصنيف الناس حسب مصالحهم التي يمكن أن تحكمهم، لذلك ومع استمرار العواصف العربية، والفوضى التي رسمتها الولايات المتحدة الأميركية، بقيت الأزمات والمشكلات تتفاقم، بل المجتمعات تتفكك اجتماعياً وأخلاقياً وسياسياً وجغرافياً، والمتابع يجد أن أطراف الحروب والأزمات هم من يتحكم، وهم من يفرض ويرفض، والناس بطبقاتهم ليسوا أكثر من وقود لحرب مصالح مستعرة بين الدول الخارجية، والطبقات المنتفعة!

ولو نظر أحدنا من الشرق إلى الغرب، ومن دون استثناء فسيجد أن الفساد ثقافة للطبقات المتحكمة بالعالم، فمن أميركا إلى أوروبا إلى مجمل الدول، هناك ثقافة تكرس وهي ثقافة الإثراء التي اختمرت بفضل الشركات متعددة الجنسيات، والمافيات المالية العابرة للحدود، وهذا يمنحنا فرصة لإعادة النظر، فالفساد ليس عربياً أو داخلياً وحسب، بل الفساد هو ثقافة مطوبة، وقد لا يكون مغالياً من يردد أن الفساد أسلوب حياة مشرعن حتى من الطبقة الدينية، فهناك منظومات تقوم بالتسويغ والدفع به صعوداً، وبغطاء ديني وشرعي أحياناً، وذلك يبدأ من أصغر الأشياء إلى أعلاها، إلا إذا كنا لا نعد الشركات ذات الصبغة الدينية من حج وعمرة وزيارات شركات تجارة وفساد ومتاجرة بالعقيدة وأحلام البسطاء الذين يدورون على ذواتهم..! فكم من شخص لا علاقة له، وبفضل المؤسسة، ومن أفواج بسيطة صار من الأغنياء الأغنياء، ويباهي على التجار..؟ كم من شخص أعرفه يعيش على الصدقات، ومن أسباب الدين استطاع أن يتاجر بمشاعر الناس وصار من كبار الملاكين، بل بعضهم تحول إلى ضفة أخرى؟ قد ينكر أحدهم هذا الكلام، وأعطيه الدليل، فسورية منذ سنوات لا وجود للحجاج منها بصورة رسمية، ولكن هؤلاء الذين انغمسوا في الفساد المشرعن لم يتخلفوا عاماً عن الموسم، وهم يخرجون بطرائق شتى ويجمعون أفواجهم، ويعودون بالغنائم، ولا أحد يسأل كيف حدث هذا؟ حتى في المؤسسة الدينية تظهر الطبقات بين المشايخ والمطارنة والخوارنة، والجميع يعرف هذا الفرز، فهذا شيخ غير شكل، وذاك يمضي عمره في مهنته ولا يحصل على شيء! هل يتخيل أحدنا أنه في المؤسسة الدينية يوجد مفهوم الطبقات؟ نعم هناك رجال دين مهمشون انتفضوا على المؤسسة الدينية أو سيفعلون، والمؤسسة الدينية جزء من الدولة ونظامها، ومن هنا تأتي الخطورة، فلا مشكلة لو كانت المؤسسة الدينية بمعزل عن النظام السياسي، ولو كان لدينا أي نوع من الفصل بين الدولة والدين لكان ما يحدث في المؤسسة الدينية ترميم أفق وإعادة هيكلة، لكن التواشج المصلحي المادي بين المؤسسة الدينية والسياسية جعل أي هزة تصيب الدولة، وهذا ما جعل اللبوس الديني قادراً على الفعل والتحريك، ولا يظن أحد أنه قادر على التحكم بالمؤسسة الدينية واستغلالها، فهي أكبر من أي محاولة، وهي القادرة على تسخير كل شيء لها، وهي التي تضحي بالشريك متى شاءت.

في مسرحية «فخر الدين» تسأل فيروز أباها عن الأمير فخر الدين الذي يحبونه، فيقول لها: الأمير مشغول بالأمور الكبيرة، وقد لا يعنيه أو لا يصله، أو يجب ألا ينشغل بأمر عسكري..!

لكن «الكجك» ودوائر الفساد هي التي اتخذت قرارات لا تصب في مصلحة العسكري وأسرته، والوطن وما يحتاجه... إنه الفساد المشرعن المقونن، وما أدراك ما الفساد وما سره؟

إسماعيل مروة

«أرابيسك أميركاني» يبين دور أميركا في صناعة ثورات الشارع العربي

أحمد بن سعادة: التقنيات الحديثة تشكل الأداة المثالية للطامحين في زعزعة الأنظمة

| سارة سلامة

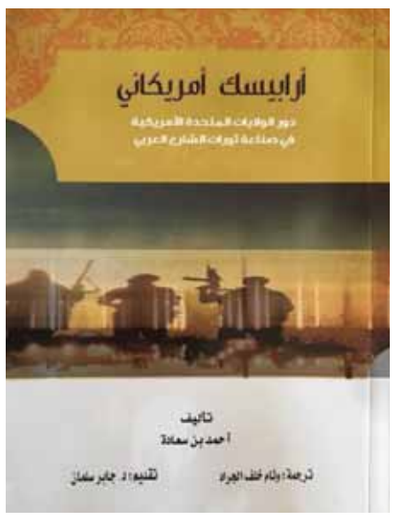

لا شك أن منظر ملايين الناس الذين غصت بهم ساحات القاهرة وتونس وصنعاء والمنامة وهي تزحف رافعة شعارات الحرية والكرامة والعزة الوطنية، سيبقى في الذاكرة الفردية والجمعية للملايين العربية والعالمية التي أدهشتها وبهرتها هذه الحشود العظيمة غير المسبوقة.
وعلينا الاعتراف أن هذه المشاهد لم تكن متوقعة أبداً قبل بضعة أشهر فقط من حدوثها المدوي وغير المسبوق، حيث عكست تجليات الغضب المكبوت منذ سنين طويلة، ولكن كيف انطلقت شرارة هذه الأحداث العاصفة المدوية في هذه المدن والعواصم بشكل متزامن أو متتابع؟

صدر عن اتحاد الكتاب العرب كتاب بعنوان «أرابيسك أميركاني» لمؤلفه الأكاديمي الكندي من أصل جزائري أحمد بن سعادة، وترجمة وئام خلف الجراد، حيث تم إطلاقه في العاصمة الجزائرية في العام ٢٠١٢، ويعتبر أول دراسة مدعومة بالوثائق الدامغة التي تتحدث عن الدور المشبوه الذي لعبته الولايات المتحدة الأميركية من خلال أجهزة مخابراتها وسفاراتها ومؤسساتها ومعاهدها ومنظماتها في تأجيج الشارع العربي بشتى الوسائل، وقد استمد معلوماته من عشرات أو ربما مئات الوثائق المهمة التي توضح دور أميركا بمختلف دوائرها ومؤسساتها ومعاهدها البحثية وفي مقدمها وكالة المخابرات المركزية الأميركية «سي أي أي» بتأجيج الاضطرابات في الشارع العربي بهدف إسقاط النظم الحاكمة.

يضم الكتاب ستة فصول تطرق فيها المؤلف أولاً إلى «الثورات الملونة» قبل أن يستعرض دور المنظمات الأميركية في تصدير النموذج الديمقراطي الأميركي، ويركز على الحالة المصرية ومختلف الدول العربية الأخرى التي هزتها الاضطرابات مع إدراج قائمة طويلة تضم المنظمات الأهلية والمؤسسات والأفراد والتمويلات بكل دولة.

لا مكان لنظرية المؤامرة

ويقول المؤلف بن سعادة في مقدمة الكتاب: إن «كتابة عمل حول دور الولايات المتحدة الأميركية في إشعال الثورات العربية هو أمر مثير للإشكال لثلاثة أسباب هي، أنه قد يتم تصنيف الكاتب تحت إطار المعاداة الهذيانية للولايات الأميركية التي تنتهجها الرؤى المؤامراتية، كما أنه قد يبدو الكاتب بمظهر المعجب بالأنظمة (الاستبدادية)، والحكام المحتكرين للسلطة، وليس من المستحيل أن تتم معاداته من جانب ما يسمى بـ(الثورة النبيلة والمعظمة).

ويضيف: إننا «اعتدنا على إطلاق تسمية (نظرية المؤامرة) على كل ما لا يلائم ما تعمل وسائل الإعلام جاهدة على بثه ونشره، ومن هنا يؤكد الكاتب أن لا مكان لنظرية المؤامرة تلك في طيات كتابه، فالوقائع والإثباتات تؤكدها الوثائق التي استند إليها الكاتب في مؤلفه.

واستهلت الجراد في تقديمها للكتاب بمقولة لـ«تشوك نوكس»: «دائماً امتلك الخطة، وكن مستعداً، فلا شيء يحدث مصادفة»، وتتساءل فيما إذا لعبت المصادفة دوراً فعالاً في كتابة التاريخ العربي فانتقلت (الثورات) من مكان إلى آخر وبسرعة لا يمكن تصديقها؟ أو هل أثارت تلك (الثورات) (غيرة) الجماهير من بعضها، فأرادت أن تكون لها النهاية السعيدة ذاتها؟ مضيفة: إن «قلة قليلة من أبناء أمتنا كان لها بُعد نظر في هذه الأحداث المتسارعة، فآثرت التروي قبل الانصياع إلى رأي الجماعة، فعند هذه القلة، لا وجود للمصادفة في مضمار السياسة، وكل شيء يحدث في وقته المناسب تماماً كما خُطط له. ومؤلف الكتاب (أحمد بن سعادة) واحد من هذه القلة التي فضلت الاحتكام للمنطق قبل العواطف، والرجوع إلى الوثائق والتقارير للتأكد من براءة الغرب عموماً وأميركا خصوصاً من الدم العربي الذي يسيل يومياً في ساحات ما يسمى بـ(الربيع العربي).

خلق ضجيج إعلامي

ويقوم المؤلف باستعراض عملية التمويل الأميركية السرية وتدبير «الثورات الملونة» في أوروبا الشرقية والإطاحة بالأنظمة والحكومات من شباب موال للغرب، علماً أن وكالة المخابرات المركزية الأميركية والبنتاغون قد لعبا دوراً ميدانياً في تأجيج هذه الحركات الانقلابية، فيما تعهدت منظمات أميركية أخرى بالتمويل.

وتحت عنوان «الثورات الملونة» تحدث سعادة عن الثورات التي قلبت المشهد السياسي لبلدان شرق أوروبا أو جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق، على سبيل المثال: «صربيا عام ٢٠٠٠، وجورجيا عام ٢٠٠٣، وأوكرانيا عام ٢٠٠٤، وكازاخستان عام ٢٠٠٥، كل هذه الثورات التي نجحت نجاحاً مدوياً، تم التحضير لها على أساس تعبئة الشباب النشطاء المحليين الموالين للغرب والمتحمسين ومستخدمي الشبكة العنكبوتية غير الراضين عن أنظمتهم السياسية حينئذ.

وفي عنوان آخر حول (التقنيات الحديثة) يقول سعادة: إن «التقنيات الحديثة تشكل من دون أدنى شك الأداة المثالية للثوار الطامحين في زعزعة النظام، إذ تسمح في البداية بتناقل وتبادل المعلومات بسرعة فائقة، إضافة إلى أنها تسهل بشكل كبير تعبئة الأعداد الهائلة للأشخاص حول مشروع مشترك.

زيادة على ذلك، فإن كثرة القنوات والأدوات المتوافرة يمكن اللجوء إليها بسهولة لخلق ضجيج إعلامي حول تصرف مسيء للحرية، مباغت ومهين لنظام معين، بغية ذمه وتحقيره على الدوام، وإن التطور الظاهر للتقنيات المعلوماتية ولوسائل الاتصال (tic) وشعبيتها الواسعة بين مختلف فئات الشعب، حتى في البلدان النامية، قد خلقت أدوات ووسائل اتصال فعالة جداً.

ومن الأكثر شهرة لهذه الوسائل: غوغل، ويوتيوب، وتويتر، وفيسبوك، التي عملت شركات أميركية مرتبطة بالإدارة الأميركية بشكل حثيث على تطويرها.

> القنوات والأدوات المتوافرة يمكن اللجوء إليها بسهولة لخلق ضجيج إعلامي حول تصرف مسيء للحرية

على صفيح ساخن

وفي الفصل الخامس «العالم العربي على صفيح ساخن» يقول سعادة: المعدلات الكبيرة للبطالة، والنسبة العالية للشباب، وتحقير الناس، وديمقراطية شبه معدومة، وسوء معيشة وثروات غير موزعة بشكل عادل، وحقوق منتهكة، وغياب حريات التعبير، والهجرة المتزايدة، وفساد في جميع مجالات الحياة، وتهميش للمرأة، وقادة مسنون، وهجرة العقول.

بلغت الأمية ٥٠ بالمئة من النساء العربيات، ومستويات تمويل الأبحاث في الجامعات العربية هي من بين الأضعف عالمياً، لم تتوقف الفجوة بين الشعب من جهة والسلطة من جهة أخرى عن الازدياد، والوقت لا يساعد بأي شيء، فقد تحولت إلى هوة واسعة، الفتيل الذي أشعل الشارع العربي كان آتياً من «سيدي بوزيد» وهي مدينة تونسية تمتد على مساحة ٢٦٥ كيلومتراً مربعاً في الجنوب التونسي.

لا شيء يحصل مصادفة

وفي تحليل للإشكاليات الأخلاقية التي واجهت العديد من النشطاء المصريين عندما علموا أن الكتيبات التي سلمت لهم من السلطات الأميركية والتي تروج لأساليب اللاعنف كانت من إعداد المؤسسات والمعاهد البحثية الممولة مباشرة من وكالة المخابرات المركزية الأميركية – الـ«سي أي أي». يقول المؤلف تحت عنوان «عناصر تحليلية»: «لا شيء يحصل مصادفة في السياسة، فإذا ما وجدتم شيئاً ما فبإمكانكم الرهان على أنه قد خطط له ليكون كذلك».

هذا الاقتباس مناسب جداً للواقع السياسي، وهو يرجع للرئيس الأميركي السابق فرانكلين روزفلت، وينطبق جداً على الوسائل «الناعمة» لزعزعة استقرار الحكومات ضمن «الثورات الملونة»، واليوم ضمن ما هو شائع تسميته بـ«الربيع العربي»، دائماً تكون العفوية الظاهرة والجذابة للحركات الشعبية مصحوبة بحدث مفاجئ وطارئ.

ففي مقال نشر على أعمدة صحيفة «لوموند ديبلوماتيك»، كتب كل من «ريجيس جانتيه» و«لوران روي» أن: «هذه المظاهرات تحمل سمة العفوية في الظاهر فقط، ومن هنا تستمد قوتها، ومع ذلك، تم التخطيط لكل تفاصيلها تقريباً بشكل سابق، فتم الترتيب لبعض «المقادير» عن سابق تصور، وبعد عام كامل من التحضيرات بدت أكثر فاعلية من القنابل»، وعلى عكس ما يخطر ببالنا فإن هذه الكلمات ليس لها أي علاقة تذكر مع ثورات الشارع العربي، إذ اقتطعت من مقال كتب في كانون الثاني عام ٢٠٠٥، وكانت تقصد «الثورات الملونة» في أوروبا الشرقية وبعض دول الاتحاد السوفييتي السابق.

الشاعرية تمنح الواقعية عمقاً درامياً يتحدى الزمن

د.رياض عصمت: يهدف الكتاب إلى مراجعة أفلام سينمائية متباينة لتسليط الضوء على مقاربات تناسب كل طراز

| سوسن صيداوي

منذ نشأتها، ابتعدت السينما عن المسرح تدريجياً، وخلقت لغتها الخاصة بها. في البدايات كانت السينما تنحو إلى تصوير عمل مسرحي الطابع، ولكن هذا النمط سرعان ما تم تجاوزه، وبالأحرى تجاهله منذ أيام تشارلي تشابلن وبستر كيتون وهارولد لويد، حيث طغت الحركة على الكلام. كذلك جرى في الأفلام الجادة الرائدة منذ فيلم «متروبوليس» ١٩٢٧ للمخرج فريتز لانغ. لكن الطابع الدرامي للأفلام لم يتم التخلي عنه وتجاهله أبداً، بل أغناه مخرجون مثل ألفريد هتشكوك فيما بعد بمزج العنصر الدرامي بجمالية الصور، وإغناء الاثنين عن طريق الخيال. وللحديث أكثر عن السينما وتطوراتها أصدرت المؤسسة العامة للسينما كتاب «الخيال السينمائي» من تأليف د. رياض عصمت. جاء الكتاب بمئتين وستين صفحة، مقسماً إلى ستة فصول عالجت الإثارة والتشويق في السينما، الخيال الأسطوري، الخيال الاجتماعي، الخيال العلمي، سينما العواطف، واحتوى الفصل الأخير نماذج من السينما الهندية والإيرانية والفلسطينية. حرص الكاتب في فصول كتابه على استكشاف العلاقة الوثيقة بين دقة تصوير الواقع الراهن أو التاريخي والمستقبلي، وبين تمتّع المخرجين وكتّاب السيناريو كافة بخيال بصري خصب وخلّاق يقود المشاهدين إلى الاقتناع بالشخصيات والتوحد مع الأحداث في أي زمان ومكان، وهما من أسباب النجاح في الفن، وفي النتيجة الكتاب يُعنى بالشكل والمضمون معاً، ويحتفي بتنوع الأنماط والمدارس السينمائية في القرن الحادي عشر.

والجدير بالذكر أن د. رياض عصمت القاص والمسرحي والناقد، عمل خلال أربع سنوات في معهد «بوفيت للدراسات العالمية» التابع لجامعة نورث وسترن، ما أتاح له أن يتابع عن كثب أحدث إنتاجات السينما المعاصرة في العالم، ويكتب سلسلة من المقالات عن أفلام أميركية وبريطانية وهندية وإيرانية وفلسطينية نجحت فنياً وتجارياً، إضافة إلى قيامه بتدريس الطلاب في قسم «الراديو والتلفزيون والفيلم» مادة كتابة السيناريو، وتدريس مواد أخرى في مجالي السينما والأداء المسرحي.

الأنماط السينمائية

أشار المؤلف في كتابه إلى أن هناك أنماطاً سينمائية عديدة متباينة، لكل منها رواد ومعجبون. ذكر منها على سبيل المثال: الواقعي، التاريخي، شبه التسجيلي، الوسترن، الحربي، الكوميدي، الميوزيكال، البوليسي، التشويقي، المرعب، الحركي، الخيال العلمي، الفانتازي. كما عدد تفرعات لها قد تكون ناجمة عن تزاوج نوعين، مثل البوليسي الكوميدي، الميوزيكال التسجيلي، الفانتازيا التاريخية. لكنه أشار إلى أننا سنجد في جميع الأنواع، منفصلة كانت أم متصلة، دوراً متزايداً للأهمية والحضور في عنصر الخيال، أي للصور المعبرة والمؤثرة الناجمة عن مخيلة بصرية خصبة. ذكر منها أفلام أنتجت في الألفية الثالثة مثل: ماكس المجنون، دكتور سترينج وجميعها من صنف الخيال العلمي، كذلك البؤساء الغنائي للمخرج توم هوبر اقتباسا عن رواية فكتور هوغو.

سمة شاعرية

برأي د.عصمت غربال الزمن أثبت أن السمة التي تكتسب بها بعض الأفلام الخلود هي السمة الشاعرية. متابعاً بأن العديد من الأفلام غدت متميزة في زمانها عبر نزعتها الطبيعية المغرقة في الواقعية، آفلة مع مرور الزمن، وبأنه بالمقابل صمدت أفلام واقعية أخرى رغم قدم عهد إنتاجها، لأنها حفلت بلمسات جمالية شاعرية وسط قتامة البؤس والمعاناة الإنسانية، مثل بعض أفلام إيليا كازان الشهيرة وخاصة «ترامواي الرغبة» و«فيفا زاباتا». مؤكداً المؤلف بأن الشاعرية هي ما يمنح الواقعية عمقاً درامياً وخلوداً يتحديان الزمن. أما الواقعية من دون شاعرية فمصيرها الأفول، لأنها تصبح آنية ومستهلكة ومملة. واستحضر المؤلف مثالاً عندما أدرك المخرج الكبير ديفيد لين تلك الحقيقة، فجمع في بعض أفلامه بمهارية بين سمتي الواقعية والشاعرية، مثل «لورنس العرب» و«دكتور جيفاكو» كما أدرك المخرج وودي ألن بين المخرجين المعاصرين ميزة الشاعرية في الفن وأتقن تضمينها في بعض أفلامه البارزة وعلى الأخص في «منتصف باريس» و«ياسمين أزرق».

الهدف من الكتاب

يهدف هذا الكتاب إلى مراجعة عدد من الأفلام التي تنتمي إلى أصناف سينمائية متباينة، بعضها تجاري، والآخر فني، سعياً إلى تسليط الضوء على مقاربات مختلفة للتخييل في السينما تناسب كل طراز منها. مشيراً د.عصمت إلى أن الفارق بين رؤية المشاهد العادية ورؤية الناقد أن الأول يخرج من الفيلم بشعور الإعجاب أو النفور، لكنه نادراً ما يستطيع تحديد السبب الكامن وراء إحساسه ذاك. أما الناقد فيستطيع بخبرته أن يسلط الضوء على جوانب فنية وتقنية تبرر للقارئ سبب إعجابه أو نفوره هنا أو هناك. هذا ما يأمل المؤلف تحقيقه من تحليل وتقييم أفلام عديدة الأنماط والمستويات. متابعاً بأنه على الناقد أن يتابع كل أنواع الأفلام بغض النظر عما يستهويه وألا يطلق حكماً عاماً عليه بل يتسم ذوقه باتساع الطيف. مضيفاً في الختام: إن التجربة علمته أن يؤمن بأن عدم الإعجاب بنوع معين من الأفلام هو أمر ناجم عن خيبة أمل تجاه نماذج فاشلة يعوزها الإتقان، على حين يأتي شعور الإعجاب والاستمتاع من خلال مشاهدة أفلام تمتعت بميزة الإتقان. وبأن السر هو السمة الجوهرية التي تحدد مدى النجاح وكذلك جاذبية أي فيلم من أي صنف لهذا الطراز أو ذاك من المشاهدين.